كتاب العيال

تأليف

الحافظ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد
بن عُبيد ابن أبي الدُّنيا البغدادي
المتوفى سنة ٢٨١ هـ

الجزء الأوّل

قدّم له، وحققه، وعلّق عليه

الدكتور نجم عبد الرحمن خلف
الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنوّرة

دار ابن القيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيال

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ-١٩٩٠م
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

دار ابن القيم للتوزيع والنشر

هاتف : ٨٢٦٨٣٤٣ - ص.ب : ١٨٦٥ - الدمام - رمز بريدي : ٣١٩٨٢ - الدمام - جنوب الاستاد الرياضي - المملكة العربية السعودية

القسم الدراسي

الفصل الأول دراسة الكتاب ويشتمل على مقدمة وسبعة مباحث

المقدمة وتحتوي على تصدير لتراث ابن أبي الدنيا عمومًا
و"كتاب العيال" خصوصًا

المبحث الأول عنوان الكتاب وصحة نسبته لابن أبي الدنيا

المبحث الثاني منهج الكتاب

المبحث الثالث أهمية الكتاب

المبحث الرابع موقع "كتاب العيال" بين الكتب التي صنفت
في هذا الباب وتقدم مصادر الموضوع

المبحث الخامس قيمة "كتاب العيال" العلمية

المبحث السادس وصف نسخة الكتاب الخطية

المبحث السابع منهجي في التحقيق

الفصل الثاني دراسة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تصدير لتراث ابن أبي الدنيا
بقلم د. نجم عبد الرحمن خلف

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئآت أعمالنا. مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإنّ إخراج هذا الكتاب وأمثاله من مصنفات الإمام ابن أبي الدنيا التربوية النافعة ـ يمثل تلبية للدعوة التي ينادي بها الكثير من العلماء والدعاة والمربين في بعث وإحياء تراث هذا الحافظ المصلح؛ وذلك لما يأملونَ فيه من النفع العميم المترتب على هذا البعث والإحياء، فإنّ الذي امتازت به مصنفات الإمام ابن أبي الدنيا حرصها المقصود على الموضوعات التربوية الهادفة، وعنايتها المركزة بعوامل النهوض في تاريخ الأمة من خلال الدروس المستفادة من سير السلف، ومواقفهم الحيَّة. ولأنها وضعت في عصر التدوين، فجاءت بمجموعها مسندة. ولأن مصنفها جمع بين التخصص في علم الحديث، والإمامة في ميدان التربية والإصلاح. فكان محدثاً حافظاً، ومربياً مؤدباً مصلحاً. فاجتمع في مصنفاته ثمار هذين التخصصين فآتت أكلها ضعفين. فقد اشتملت كتبه على أصول المناهج العلمية في ميدان التربية الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة. واحتوت على مادة ثرية واسعة نفتقر إليها في توجهنا نحو الصياغة الإسلامية لمناهج التربية، وبيان أسسها وأصولها. كما يمكن ـ عن طريق الدراسة الجادة

لهذه المصنفات ـ أن نقيم التيارات التربوية الحديثة في ضوء الأهداف والسبل التربوية الإسلامية. وبهذا ـ أيضاً ـ تتضح سمات المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة. ويمكننا بالتالي استخلاص وبناء النظرية التربوية الإسلامية من السلوك الحركي الإسلامي الواسع العريض الذي عنيت بجمعه وتدوينه ـ مسنداً موصولاً ـ هذه المصنفات الهادفة. والمنهج التربوي القويم لا يعترف بالحواجز المصطنعة بين فروع العلم النظرية، وفروع العلم التي تعالج الجانب السلوكي. وكذا هو الحال بالنسبة للمنهج الإسلامي بكل تشريعاته وتفريعاته، فليس هناك انفصام ـ في المنظور الشرعي ـ بين العقيدة والمنهاج. بخلاف المناهج التي تَزْخَرُ بها دنيا الناس اليوم، شرقيها وغربيها. فالمعرفة عند أولئك مجزأة إلى دينية وغير دينية. والخطير في الأمر أنَّ الكثير من المتخصصين والباحثين نقلوا إلينا هذا «الفصام النكد» من المناهج التربوية الدخيلة واستعاروا تصاميمها من هناك، وأتوا بها بقوالبها ومضامينها دون أدنى تحوير أو تعديل[1].

ولم يكن الحافظ ابن أبي الدنيا يوم وضع هذه المصنفات الهامة ـ ولم نكن نحن حين نهضنا بمهمة بعثها وإخراجها ـ يطمح هو، أو نهدف نحن إلى التذكير النظري المجرد السالب، بل قَصَدَ ـ وقصدنا من ورائه ـ إلى التذكير الإيجابي الذي يجعل من هذه الموضوعات ـ الجامعة في بابها ـ دليلاً هادياً، يدعو إلى العبرة والدَّرس، والمتابعة والتأسي، وكذلك يكون التعامل المُجْدي مع النُّصوص العلمية، وكذا تكون صورة العلم النافع، وبدون هذا التصور الحركي يصبح استحضار هذه النصوص وإحياؤها هروباً من الواقع، وضرباً من المتعة والتسلية، وسبيلاً إلى مَلْءِ الجعبة بالمعلومات والروايات، كنوع من أنواع الترف الثقافي البارد الذي لا يدفع ولا ينفع والعياذ بالله.

★ ★ ★

(١) انظر د. عبد الرحمن صالح ـ المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية: ٢٦٣.

وهذا الكتاب القيم «كتاب العيال» للإمام الحافظ ابن أبي الدنيا يعرض صوراً مشرقة لتوجيهات الأئمة من السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى الفاضلة. والتي تمثل انطباعاتهم وتأثرهم بالجو الإسلامي العام الذي كان يدور مع الكتاب والسنة حيث دارا. فإنّ هذه التوجيهات التربوية من هؤلاء الأعلام تجسّد المنهجية الإسلامية في منظورها إلى العائلة، ومقدار أهميتها، وضوابط الحقوق والوجبات لكل فرد فيها.

وهذا السفر الكريم تكمن أهميته في اتجاهين رئيسين؛

أولاهما: أنه يعالج أهم مؤسسة في بناء الأمة أو تسهم في تحديد شخصية المجتمع، وهي «العائلة». وهذه المعالجة الشرعية تأتي في المرتبة الثانية من التكليف الرباني. فإنّ الله ـ جلّ ثناؤه ـ أمرنا بالسعي لاستنقاذ أنفسنا من النار، ثم ثنّى أمره لنا بإنقاذ أهلينا. فقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

والذي يزيد هذه المعالجة أهمية، ويعلي من شأنها؛ أنها محاولة رفيعة من الحافظ ابن أبي الدنيا، تدل على علوّ مرتبته في الابتكار التصنيفي، والتنظيم الموضوعي، فإننا لم نقف على مصنف ـ بهذا الشمول والسعة ـ تصدى لمعالجة هذا الموضوع الحيوي الهام، ولا قريباً منه ـ فيما نعلم ـ.

كما أنه يعتبر سبقاً حضارياً هائلاً في بابه. إذ أنه يكشف الستار عن المنهجية التكاملية في معالجة الأسرة في ضوء التوجيهات الاسلامية، في مرحلة مبكرة، مضى عليها أحد عشر قرناً ونصف من الزمان.

أما الأهمية الثانية للكتاب فتكمن في أنه يُعَدُّ ـ دون ريب ـ وثيقة تراثية تربوية. فإنّ هذا الكتاب وضعه مصنفه في القرن الثالث الهجري. وقد أتى به من فاتحته إلى خاتمته مسنداً موصولاً. فهو كتاب وضع في عصر من أزهى العصور الإسلامية قاطبة في تصنيف السنة وتنظيمها.

---

(١) سورة التحريم/ ٦.

وهو كتاب تربوي هادف، ذو منهج سلفي نقي، ورؤية شمولية متكاملة. فمؤلفه الحافظ المؤرخ الصدوق ابن أبي الدنيا من أقران أصحاب الكتب الستة، بل إن ابن ماجة ـ صاحب السنن ـ سمع منه، وروى عنه في «تفسيره». فهو محدث إمام، ومؤرخ محيط، وهو كذلك من أعلام المربين، فإنه أوقف حياته على صنعة التأديب والتثقيف والتربية. فهو مؤدب أولاد الخلفاء، وعلى يديه تخرج العديد من النبغاء والنبلاء من طلاب العلم. وبهذا يكون «كتاب العيال» قد ضمَّ بين دفتيه خلاصة تجربة الحافظ ابن أبي الدنيا الحديثية والأخبارية والتربوية. فهو كتاب سلفي، حديثي، تاريخي، في اتجاه تربوي إصلاحي. وقد اشتمل على العديد من النصوص الحديثية والتاريخية الهامة، التي قد لا نجدها حفظت لنا في كتاب سواه، مما بقي لدينا اليوم من تراثنا الزاخر.

وكتبه
نجم عبد الرحمن خلف
في المدينة المنورة
بتاريخ ١٤٠٨/٣/٢٥ هـ

المبحث الأوّل

عنوان الكتاب وصحة نسبته لابن أبي الدنيا

اتفقت المصادر ـ التي تعرضت لذكر مصنفات ابن أبي الدنيا ـ على تسمية الكتاب تسمية واحدة. فأسموه « كتاب العيال ». وهي نفس التسمية الثابتة على طُرّة نسخته الخطية اليتيمة.

ومما يؤكد صحة نسبة الكتاب للحافظ ابن أبي الدنيا وجود إحدى نسخه الخطية. وقد جاء في طرّتها ما يلي: « كتاب العيال تأليف الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي ابن أبي الدنيا المكتّب رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، ووقانا وإياه عذاب النار.

كما ذكره بعض العلماء الكبار ونسبوه لابن أبي الدنيا أمثال الحافظ الذهبي في كتابه الحافل « سير أعلام النبلاء »[1].

وكذا ذكره صاحب « معجم مصنفات ابن أبي الدنيا » وعدّه في جملة مصنفاته[2].

---

(١) الذهبي ـ سير النبلاء: ١٣/٤٠٣.

(٢) معجم أسماء مصنفات ابن أبي الدنيا لمجهول. منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق. مجاميع رقم ٤٢. وقد عدّ له فيه (١٦٤) كتاباً.

المبحث الثاني

منهج الكتاب

لقد رأيتُ مِن خلال دراستِي لكتابِ العيال للحافِظ ابن أبي الدنيا الوِحْدةَ الموضوعيةَ التي تنْتظمُ الكتابَ، رغم كثافةِ مادّتِه ووفْرتِها، إذْ بلغتْ نصوصه (٦٧٤) نصاً. وهذا شأنُ ابن أبي الدنيا في كافّةِ مصنّفاتِه، فإنّها تمتازُ بالوحدة المَوْضوعيةِ، والحرص على التخصص.

أما السِّمةُ الأخرى التي أسْبغها ابنُ أبي الدنيا على هذا المُصنّفِ ـ كما تميَّزت بها مصنفاتُه الأُخرى ـ فهي جوْدةُ التّرتيب والتبْويب، فإنَّه وزّع هذه المادةَ الغزيرةَ علَى (٣٥) باباً، أتى فيها على كُلِّ ما يتعلَّقُ بالأسرة والعائلة المسلمة أفراداً ومجتمعين. فجمعَ كتابُه الشُّموليةَ والاستيعابَ. في الموضوع الواحدِ مع حُسْن العرْض ودِقّةِ التَّصْنيفِ.

والسّمةُ الثالثةُ: روايةُ النّصوص النّبويةِ والآثار والمقطوعات الشعرية مُسندةً إلى قائِليها. وهذا أيضاً منْ سِماتِ ابن أبي الدنيا في جَميع مُصنّفاتِه.

وقد أورد مادةَ الكتابِ مبدوءةً بصيغةِ الأداءِ «حدّثنا»[1] و«حدّثني»، وهي أرفعُ صيغةً عنْد ابن الصّلاح[2]، لتضمُّنها سماعَ التّلميذِ منْ شيْخِه، وقصْدَه إيّاه بالتّحديثِ، فهي أقْوى دلالةٍ في التّعبيرِ عن واقع الحال من سمعت، ومن أخبرنا أيضاً.

(١) وهي هكذا في سائر كتابه ما خلا روايات معدودة، تحملها مناولة أو وجادة.

(٢) النووي ـ تقريب الإرشاد: ١٠، السيوطي ـ تدريب الراوي: ٢/١٠.

وقلّما يوردُ حديثاً في موْضعين بإسنادٍ واحدٍ ولفْظٍ واحدٍ، وإنَّما يُورده من طريقٍ آخرَ لمعانٍ نذْكُرُها:

منها: أنه يُخرّجُ الحديثَ عن صحابيّ ثُم يُورده عن صحابيٍ آخرَ، والمقصودُ منه أن يُخرجَ الحديثَ عن حدِّ الغرابةِ، وكذلك يفعلُ في الطّبقةِ التي تَليهِ والتي بعْدها إلى مشايخِهِ. وهذا الصنيعُ ليس بتكرارٍ، لاشْتِمالِه على فائدةٍ زائدةٍ.

ومنها: أنَّه صحَّحَ أحاديثَ على هذه القاعدةِ، يشتملُ كلُّ حديثٍ منها على معانٍ متغايرةٍ، فيُوردُه في كُلّ بابٍ منْ طريقٍ غيرِ الأولى فيرتفعُ الحديثُ الضعيفُ ضُعفاً قريباً مُحتملاً إلى الحَسن لِغَيْره، ويرتفعُ الحسنُ لِذَاتِه إلى الصّحيح لغيْره لزوال المحْذورِ.

ومنها: أحاديثُ تعارضَ فيها الوصلُ والإرسالُ، ورَجَحَ عنده الوصلُ فاعتمَدَهُ، وأوْرد الإرسالَ مُنبّهاً على أنّه لا تأثيرَ له عنْده في الوصْل.

ومنها: أحاديثُ زادَ فيها بعْضُ الرواةِ رجلاً في الإسنادِ وأنْقصَهُ بعضُهم، فيوردُها على الوجْهين. حَيْثُ يثبتُ عنده أن الرّاوي سمِعَهُ من شيخٍ حدّثه به، ثُمّ لقيَ الآخر فحدّثه به، فكان يرْويه على الوجْهيْن.

ومنها: أحاديثُ لها طريقان أو أكثرُ بعضُها عالٍ والآخرُ نازلٌ فيذكرهم لهذه النُكتةِ الإسناديةِ.

وهذا العملُ له قيمتُه الحديثيّةُ، فضلاً عن دلالتهِ الواضحةِ على عُمْق المُصَنِّف، وسَعةِ عِلْمِهِ، ودِقّتِه، وتمكّنه من علْم الحديثِ.

وهو على العموم لا يكرر الحديث إلا لفائدة مَتْنِيَّةٍ أو إسناديَّة. وربما كرر الحديث بإسناده ومتنه لمناسبة الباب بقصد التنبيه والإفادة.

ومن منهجه ـ رحمه الله ـ أنه إذا سمع الحديث من شيخين مباشريـن أو أكثر جمع بينهما في الأداء فإن كان الطريق واحداً اكتفى بهذا الجمع في الإخراج

أما إذا اختلفت ألفاظهم فإنه يصرح بأن هذا لفظ فلان. انظر مثلاً رقم (٢٣٥) (٥٠٤) (٥٤١) (٥٥٦) (٩٥) (٦٤٣).

وكان الحافظ ابن أبي الدنيا دقيقاً في أداء ما سمعه من مشايخه، فنجدُه يُؤدي كما سمعَ، فإذا أراد أن يُعرِّف برجل ما في السَّند فإنما يعرفه بين فاصلتين ـ يعني: ... ـ فيكون التعريف الموضح معزولاً عن النص المسموع بهذه الكيفية. ومثال ذلك، أنه قال في رقم (٥٦٩): « .. حدثنا زكريا ـ يعني: ابن أبي زائدة ـ ..».

وهذه المنهجية مع ما فيها من الدقة في الأداء، والورع في رواية ما تحمله فإنها تدلّ على حرص ابن أبي الدنيا على التعريف برجال إسناده دفعاً للوهم والالتباس.

وقد درج عل استخدام عبارات دقيقة في الأداء. وهذا أمرٌ ظاهرٌ في روايات الكتاب كلِّها.

أما من ناحية المتن فإنه لم يتعرض لشرح مجمل، أو حلِّ غامض، أو بيان معنى.

وقد لاحظتُ أنه يُقَطِّع الحديثَ ـ أحياناً ـ ويُوزِّعهُ في الأبْوابِ تارةً، ويقتصرُ على بعْضه تارةً أخرى، وهو إنّما يصنع ذلك لأنه إنْ كان المتنُ قصيراً أو مرتبطاً بعضُه ببعضٍ، وقد اشتملَ على حُكمَيْن فصاعداً فإنَّه يُعيدُه بحَسبِ ذلك مُراعياً ـ مع ذلك ـ عدمَ خُلوّه من فائدةٍ حديثيةٍ، إذ أنه أخرجها بالكامل عن شيخ آخر قبل ذلك بقصد تكثير طرق الحديث الواحد. إلى غير ذلك من الفوائد الإسنادية والمتنيَّةِ الأخرى. وربما ضاق عليه مخرج الحديثِ، حيث لا يكون له إلا طريق واحدة فيتصرفُ حينئذٍ فيه فيُورده تارةً تاماً، وتارةً مقتصراً على طَرَفِه الذي يحتاجُ إليه في ذلك البابِ فإن كانَ المتنُ مشتملاً على جُمَلٍ متعددةٍ لا تعلقَ لإحداها بالأخرى، فإنه يُخرجُ كلَّ جملةٍ منها في بابٍ مستقلٍ فراراً من التطويل، وربُما نشطَ فساقَهُ بتَمامِه.

أما من الناحية الموضوعية فإن ابن أبي الدنيا قصد أن يكون كتابه هذا جامعاً لكلّ الأحاديثِ والآثارِ التي وردتْ في موضوع الأسرة او كفالة العائلة ـ في حدود مسموعاته ـ. وقد وُفِّق في ذلك أيّما توفيق.

وقسَّمَ الكتابَ إلى أبوابٍ كثيرةٍ، فيها الدّقةُ والوعْيُ والفهْمُ. وكان يُوردُ الأحاديثَ المرفوعةَ أولاً، ثم أقوالَ الصحابةِ فالتابعين. وسار على هذا المنهج في الكتابِ كلّه ما خلا حالاتٍ نادرة. كما طَرَّزَ الكتاب بعشراتِ الأبياتِ والقِطَع من شِعْرِ الرّقائِق، ممَّا قاله ثِقاتُ الشُّعراء مِنَ السَّلفِ فجمع بيْن النّثْرِ والشِّعْر التّربوي الموجّه.

وهذه طريقةُ ابن أبي الدنيا في جميع مُصنّفاته، فإنّه قد أحْسن استثمارَ الظاهرةِ الشعريةِ والتّذوق الأدبي الذي كان عليه جيلُ المسلمينَ في القرن الثالثِ الهجري، فانتقى المئاتِ من الأبياتِ والمقاطع بحسِّه الأدبي المُرْهَفِ وإيمانِه الصّادِق، وعقيدتِه النّقيةِ.

والمرءُ ربّما «يسْمعُ المعنى نثراً، فلا يهزُّ له عِطْفاً، ولا يهيجُ له طرباً، فإذا حُوِّل نظْماً: فرَّحَ الحزينَ، وحرَّكَ الرّزينَ... وقَرَّبَ الأملَ البعيد»[1].

«وإنّما الوزنُ من الكلام كزيادةِ اللّحن على الصّوتِ، يُراد منه إضافةُ صناعةٍ مِن طربِ النّفس إلى صناعةٍ من طربِ الفِكْر»[2].

وللشّعْر أهميةٌ بالغةٌ في نُصرة العقائدِ وتَرْويجِها، ونشرِ الفضائِل وتَحْلِيَتها، ودحض الشّبه وإبطالِها.

والذي يظهر لنا أنَّ منهج ابن أبي الدنيا في كتابه «العيال» منهج نَصِّيٌّ، فانَّه وضعَ هذا الكتابَ منْ مجموع مرويّاتِهِ التي تحمَّلها عن مشايخه فيما يتعلق بموضوع «العائلة» ولم يتعرضْ لها بنقدٍ أو تقْييمٍ.

---

(١) محمد أحمد الراشد ـ المنطلق: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) الرافعي ـ وحي القلم: ٣/٢٨٥، والراشد ـ المنطلق: ٢٨.

لكنّه في ذاتِ الوقت استخدَمَ منْهجه النَّقديَ - دون شك - في انتقاء هذه النصوص دون غيْرها، وعدَلَ عنْ كثير غيرها، كما اسْتخدمه في اختيارِ الأسانيدِ المُناسبةِ من مجموع أسانيدِه الكثيرةِ.

كما ظهرت شخصيتُه الحديثيّةُ واضحةً من خلال تبْويبه، وسَعةِ مروياتِه وكثرةِ طُرقِه، وأسلوبِه الذّكي في تكْرارها أحياناً.

وبهذا تكونُ منهجيةُ ابن أبي الدنيا، وقدرتُه على حُسْن التَّصنيفِ لا تقلُّ شأناً عن مَصَفِّ الائمة الكبارِ، والمحدّثين العِظام.

المبحث الثالث

أهمية الكتاب

إن « كتابَ العيال » للحافظ ابن ابي الدنيا ذُو أهميةٍ بالغةٍ في بابِهِ، وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ، فمؤلفُه من الحفاظِ الكبارِ، وصاحبُ قدمٍ راسخةٍ في الزهدِ والرقائِق، وصاحبُ خبرةٍ ودُرْبةٍ في معالجةِ العِلَلِ الاجتماعيةِ والأخلاقيةِ فهو المُربي والمؤدبُ والقدْوةُ.

فكان « كتابُ العيال » ثمرةً ناضجةً من ثِمَارِ هذا الحافظِ المُتخصِّص، صنّفه في عصرٍ منْ أكثرِ العُصورِ نشاطاً وحيويّةً في جمْع الأحاديثِ النبوية واستقصائِها وتنْقيتِها، فَعَملَتْ فيه الخبرةُ الحديثيّةُ والخبرةُ التربويّةُ عَمَلَها فآتت أُكلهَا ضِعْفَيْنِ.

وهذه فقراتٌ موجزةٌ تُلقي الضوءَ على أهميّة الكتابِ، وما فيه مِنَ المزايا والإبداع:

١ ـ إنَّ « كتابَ العيال » كسائِر مُصنفاتِ ابن أبي الدنيا منْ « أُصولِنا »[1]

(١) إنَّ مما يؤسف له أن تبقى هذه الأصول حبيسة المكتبات الخطية، بعيدة عن أيدي العلماء والباحثين، في الوقت الذي نرى فيه وفرة المطابع وتيسرها، وغالب الذي طبع من هذه الأصول مليءٌ بالتصحيف والتحريف، وقد عمد شيخنا الأستاذ حامد إبراهيم المصري إلى مقابلة كتاب « مجمع الزوائد » للهيثمي بنسخة خطية فوجد في المجلد الأول فقط ما يقرب من ألف خطأ. وقمت بتصحيح نسختي عليها، فصححت ما يقرب من ثلثمائة خطأ ثم ضقت وتركتها لكثرتها. مع أنَّ الكتاب في خمس مجلدات ضخام. وهو من الأصول المهمة في السُّنة النبوية. وهناك عشرات الشواهد على هذا. وقد أحسن الأستاذ المرحوم محمد فؤاد =

التّراثيةِ، وضعه في عصرِ التّدوينِ، فجاء الكتابُ كلّه مِنْ فاتِحَتِه إلى خاتِمَتِهِ مُسنَداً موصولاً إلى قائِله. وهذه الميزةُ أهمُّ صفةٍ في الكتابِ منْ النّاحيةِ الحديثيّةِ، والقيمةِ العلميةِ البحْتَةِ.

٢ ـ تَضَمَّنَ الكتابُ (٦٧٤) نصاً، جامعاً لكلِّ ما يتعلّقُ بشؤن العائلة وتربيتها مِن أحاديثَ مرفوعةٍ، وآثارٍ عن الصّحابةِ والتّابعينَ، وبهذا التوسُّع الموْضُوعيّ الشامِلِ أصبحَ الكتابُ وحيداً في بابِه، فريداً في اسْتيعابِه. وضمّ بين دَفَّتيْه طائفةً كبيرةً من النُّصوصِ النَّادرةِ التي قدْ لا نجدُها في كتابِ مُسنَدٍ سواه. فمصنفات ابن أبي الدنيا تُعتبرُ من المصادرِ الرئيسة لكلِّ مَنْ له عنايةٌ بالأخلاق والتربية والرقاق.

٣ ـ وممّا يزيدُ في أهميةِ الكتاب، ويُبرزُ قيمتَه العلميةَ، اشتمالُه على مئات الآثار من آثار السلف الصالح، فضلاً عن مئات الأحاديث المرفوعة المسندة.

وهذه الآثار في غايةِ الندرةِ ولها قيمتان:

قيمةٌ شرعيةٌ وتربويةٌ، باعتبارِها الترجمةُ الحَيَّةُ لأخلاقِ السّلفِ الصالحِ وآدابِهم، وأثرٌ مُهمٌّ من آثارِ انْطباعِهم بالتوجيهاتِ النّبويةِ وتمثُّلهمْ بها في سُلوكهم وحياتِهمْ.

وقيمةٌ علميةٌ، باعتبارِ أنَّ هذه الآثارَ من أقدمِ ما وُجدَ. ونظراً لأنّها جميعاً مُسندةٌ، وأنَّ ناقِلَها إمامٌ ثقةٌ صدوقٌ فإنها تُعَدُّ وثيقةً نفيسةً لما كان عليه النبي ﷺ والسَّلفُ الصالحُ من الصحابةِ والتابعين وتَابِعيهم في شؤنهم العائلية. وما كانوا عليه من الورع والصلاح والوقوف عند حدودِ الله. وكيْف لا وَهذه الآثارُ لا نجدُها اليومَ بهذا التأصيلِ والتّوثيقِ إلا عنْد أفرادٍ قلائلَ

= عبد الباقي في إخراجه «صحيح مسلم» و «سنن ابن ماجة» و «فتح الباري» مع ضبط نص البخاري بالإشتراك مع الأستاذ المرحوم محب الدين الخطيب، وكذلك المحدث المرحوم أحمد شاكر في «مسند أحمد» وفي «سنن الترمذي» وللأسف فإنه توفي قبل إتمامها.